الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي الونشريسي - تيسمسيلت

معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

مذكّرة التخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

دراسة كتاب

إعجاز القرآن و البلاغة النبوية

للكاتب مصطفى صادق الرافعي

إعداد الطالبة:
هـدى ميزون

إشراف الأستاذة:
هند بلميهوبي

أعضاء اللجنة المناقشة

	م.ج تيسمسيلت	رئيســـــــاً
	م.ج تيسمسيلت	عضوا مناقشاً
	م.ج تيسمسيلت	مشرفا ومقرراً

السنة الجامعية: 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، أستفتح باسم الله العليم بحثي هذا، الذي تناولت فيه دراسة لكتاب "تاريخ آداب العرب" للكاتب مصطفى صادق الرافعي في جزئه الثاني، والذي تناول باباً واحداً وهو الباب الثالث المعنون بـ "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية".

لم يوفر سادتنا العلماء، بعد تفشي النزعة الكلامية وانتشار فكرة الصرفة في الدفاع عن الاعجاز القرآني، وقد سبق الرافعي كل من الجاحظ والواسطي والرماني والباقلاني، الزملكاني... وغيرهم ممن بسطوا في الحديث عن الإعجاز القرآني، غير أن الرافعي درس الإعجاز بمنهج مختلف ميزه عما سبقه فرصف فيه زبدة جهوده وصّب فيه روحه الثقافية والعلمية حاملاً لواء الذود عن حمى أصالة اللغة العربية وأسسها، فخصّ كتاباً بالإعجاز القرآني، غاص في أعماق الشريعة الإسلامية، وهدف به إلى الرّد عن كل مشكك بإعجاز القرآن وبالبلاغة النبوية.

وأسلوب الرافعي في هذا الكتاب أسلوب العالم الأديب، يجد فيه كل طالب مطلبه من العلم والأدب والبيان الرفيع، وكان له أسلوب خاص به بائن بنفسه لا يشاركه فيه أحد من الكتاب.

حاولت من خلال هذا العمل أن أجيب على جملة من التساؤلات التي شغلت الكثيرين مثلي لاسيما المهتمين بالدراسات القرآنية وتراث الرافعي فما هي حقيقة الإعجاز القرآني عند الرافعي؟ وما هو السبق الذي قدمه الرافعي في كتابه هذا إن وجد؟ وما دلائل البلاغة النبوية عنده؟

ومن أبرز الأسباب التي دفعتني إلى البحث في هذا الموضوع، باعتبار الكتاب من أهم الدراسات المستقلة في عصره بعد الجرجاني، والرافعي عالم فذٌ أخفت مواقفه المتشددة والقاسية بعضاً من تألقه وكان لابد من يد تمسح الغبار عما أفاد به الأمة والأجيال الصاعدة، لما اعتمد في كتابه إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية.

اقتضت ضرورة البحث (دراسة كتاب) أن تأتي دراستي متضمنة لمحتوى الكتاب بالتفصيل والترتيب، فبعد مدخل أجزتُ فيه عن حياة الرافعي، أفكاره وشخصيته، دواعي تأليفه الكتاب، نزاهته

وموضوعيته والمصادر التي استقى منها مادته، والحقل المعرفي الذي تنتمي إليه الدراسة وفي عرض للكتاب تناولت فصوله الثمانية بمباحثها فلخصت ما قاله الرافعي في كل مبحث وأوردت مؤلفات مماثلة في المضمون لمؤلفين آخرين وذلك بالمقارنة والشرح، أما في الدراسة والتقويم فوقفت على أهمية الكتاب في الحقل الذي ينتمي اليه،مبرزة الإضافة النوعية التي جاء بها الكاتب، وأهم الانتقادات التي تعرض لها، والخاتمة التي تضمنت النتائج وأهداف الكتاب.

وقد اعتمدت المنهج التحليلي المقارن، فعمدت الى جمع المادة ومقارنتها بعضاً ببعضٍ وأقبلت على هذا البحث وانا أشكو صعوبات جمّة، أولها أني وقفت إزاء هذا البحث موقف المتوجس خيفَةً من جلل الدراسة وخطر البحث وأنا لا أملك، زاد العلم إلاّ يسره، ومن اللغة إلا أضعفها، كما شكلت قلّة المصادر والمراجع وقلّة الدراسات التي تناولت تراث الرافعي أهم العقبات إذ حاولت الوصول إليها ولكن صَعُبَ عليَّ ذلك، ثم إن التعامل مع نصوص القرآن معجزة ليس بالأمر السّهل ناهيك عن أسلوب الرافعي برصانته وقوّته إزاء ما استيسر لي من لغة وعلم.

ومما يوجب الشكر الجزيل لأستاذتي الفاضلة أستاذتي المشرفة على عظيم صبرها ورحاب صدرها، إذ كان لدقة ملاحظتها وبُعد نظرها الأثر الواضح، في تمامه على الوجه الذي ارتأيته له، كما أتقدم بالشكر للسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة.

ولا أدّعي في بحثي هذا أني بلغت الغاية، أو ألممت بعناصر الموضوع ولكني اجتهدت، وأنا أقِرُّ بعجزي عن الوصول الى الكثير مما يحتاجه بحث كهذا علماً وصبراً وحضور بديهة، كأي عمل إنساني لا يخلو من الزلاّت والسقطات، فالكمال للّه وحده، فأني أدعو اللّه الذي أعجزنا بالقرآن أن يغفر زلاتي، ويرحم عجزي وضعفي، وما توفيقي إلا باللّه عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

الإثنين15 ماي2017.

مدخـــل

المدخل:

الأديب مصطفى صادق الرافعي هو أبو السامي مصطفى صادق بن الشيخ عبد الرزاق الرافعي الفاروقي العمري الطرابلسي[1]. ومصطفى صادق اسم مركب، وقد لُقب بألقاب كثيرة منها: شاعر الحسّ المحنون، وأديب الشرق المفتون، ونابغة البيان وزهرة شعراء العربية، ولد الرافعي في أول رجب سنة 1298هـ، الموافق لمنتصف كانون الثاني، يناير 1881 في بلدة بهيتم[2].

هو سوري الأصل، مصري المولد، إسلامي الوطن، أسرته من طرابلس الشام لكن مولده بمصر[3].

نشأ الرافعي نشأة دينية وثقافية، يقول العريان "لأسرة الرافعي ثقافة يصّح أن نسميها ثقافة تقليدية، فلا ينشأ منها حتى يتناولوه بألوان من التهذيب تطبعه من لدن نشأته على الطاعة، واحترام الكبير، وتقديس الدين، وتجعل منه خلفا لسلف يسير على نهجه ويتأثر بخطاه، والقرآن والدين هما المادة الأولى في هذه المدرسة العريقة التي تسير على منهاجها منذ انحدار أولهم من صلب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه"[4].

أبرز مؤلفاته:

ديوان الرافعي، ديوان النظرات، تاريخ آداب العرب، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، حديث القمر المساكين، رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب، السحاب الأحمر، أوراق الورد، تحت راية القرآن والمعركة بين القديم والجديد، رسائل الرافعي[5].

1- البدري مصطفى نعمان حسين، الإمام مصطفى صادق الرافعي، بغداد، دار البصري، 1387هـ، 1968م، ص: 209.

2- المرجع نفسه، ص: 255.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 209.

4- المرجع نفسه، ص: 208

5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 126.

توفي الرافعي –رحمه الله– في 10 مايو سنة 1937م في طنطا، وكان في السابعة والخمسين من عمره بعد حياة حافلة بالتحصيل والنضال والإنتاج السخيّ والعطاء الوفير[1].

لقد كان لبيئة الرافعي التي نشأ فيها أثر بالغ على أسلوبه ومنهجه في الكتابة وإن كان أول شغفه الشعر وأصدر بداية دواوين وقصائد منها ما جمع على شكل دواوين ومنها قصائد نشرها في صحف ومجلات معروفة، وقد جعله حافظ إبراهيم في الطبعة الأولى من شعراء العصر، وقال الكاظمي "أسافر مطمئناً وأنتَ بقيتي في مصر"[2].

من خلال استقرار حياة الرافعي وإطالة الوقوف أمام أثاره الأدبية ندرك مقدار الرضا والشعور بالانسجام مع الموقف الأدبي الذي اختار أن يجده في حياته بالرغم مما كان يسبب له من منغصات الآلام ومن مثيرات الشجون[3].

وقد رأى في الشعر قيداً ليحول أحياناً بين ما يتعارك في الوجدان وبين نظمه في ظل قواعد صارمة كقواعد العروض والقصيد، وجدير بالملاحظة أيضاً أن اختلاف المؤلف إلى النثر لا يعني أبداً هجره للشعر تماماً فقد كان ينظم بين حين وحين قصائد في شتى الموضوعات[4].

وما يجده كثير من الأدباء والنقاد على الرافعي في نثره ميوله إلى تكلف السجع واصطياد اللفظ الغريب، وذلك يعود لأسباب كثيرة:

1- الرافعي ميال إلى التميز الذي يقترب أحياناً من الشذوذ.

2- عصره الذي تميز بتطور عظيم في مجال صناعة الأدب ومعاصرته لعمالقة.

3- المعارك الأدبية التي جعلت الصحف والمجلات بدناً لرحاها الدائرة لمدة طويلة جداً.

4- تعلقه بالأدب القديم وتصانيف العصور الأولى مثل الصاحب بن عباد الحريري "الهمذاني".[5]

1- ينظر: مصطفى الشكعة، مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكراً إسلامياً، ط3، الدار المصرية اللبنانية، 1999م، ص 23.

2- حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين، ص: 363.

3- عبد العزيز المقالح، عمالقة عند مطلع القرن، ط1، منشورات دار الأدب، بيروت، 1404هـ، 1983م، ص: 123.

4- عبد الله مرزح ضيف الله، نثر مصطفى صادق الرافعي، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص: 49.

5- المرجع نفسه ،ص:50.

عندما أنشأت الجامعة المصرية سنة 1908م، أخذ يتبع أخبارها وكتب مقالاً ينتقد فيه مناهج الجامعة وأساتذتها وطلابها، وأحدث المقال أثره، فرصدت الجامعة جائزة للأدباء بـ 150 جنيها لمن يؤلف كتاباً في أدبيات اللغة وضرب لذلك أجلاً بسبعة أشهر، ولم يكن هدف الرافعي ليغريه ثمن الجائزة ولكن دغدغ الأمل والحلم السابق في زيادة الأدب أحلامه مرة أخرى، وكذا طمعه في أن يكون مُدرساً في الجامعة وقد تنبأ أن سياسة الجامعة ستحرمه وأنه سيحظى كتابه ذلك بمدرس غير كاتبه وفعلا تم ما قاله[1].

وأورد الرافعي أنه كتب الجزء الأول منه في ثلاثة أشهر، والأصح أن الكتاب خرج إلى النور قبل هذا التاريخ، وذلك في شهر مايو من سنة 1911م إذ نشر الرافعي مقالا كان الباب الثاني منه بعد أن توسع فيه، في هذا الجزء اطلع الكاتب على كتب الأقدمين، وجمع ما رآه مناسباً لموضوعه ، وجعل له اثنا عشرا باباً[2].

وتميز منهجه في جمع مادة هذا الكتاب عن سائر مصنفات تاريخ الأدب بثلاثة أسس هي التي شكلت محوراً هاماً في قيمته الفنية، لم يتبع الرافعي في هذا الجزء طريقة المؤرخين في تقسيم كتبهم على ضوء منهج العصور، وإنما اعتمد على أصالة المنهج، دقة السبك، وروعة الأسلوب.

أما الجزء الثاني من مُؤلفاتهِ فقد أتمه الرافعي سنة 1912م وأخرجه سنة 1914م وقد عرفه الناس واشتهر بينهم بعنوان "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"[3]

1– مصطفى الجوز، مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية المطلقة على السريالية، دار الأندلس، 1140هـ، 1985م، ص: 57.

2– ينظر: المرجع نفسه، ص: 58.

3– ينظر: محمد سعيد العريان، حياة الرافعي،ط3، المكتبة التجارية الكبرى، 1375هـ، 1955م، ص: 70.

وأسلوب الرافعي في هذا الكتاب أسلوب العالم الأديب، وقد طبعه على نفقته، وإن انصرف الرافعي عن الشعر إلى هذا البحر الواسع من علوم اللغة وتاريخها ولم تكن في نيته الكتابة في إعجاز القرآن لمجرد رغبة عابرة فقط لأن إعجاز القرآن باب في تاريخ الأدب فإذا بأثر ذلك يصل صداه ومداه حتى أصبح بين الأدباء كاتبا من الطراز الأول[1].

أما الجزء الثالث من الكتاب فقد كتبه الرافعي في قصاصات وأوراق مبعثرة في مكتبته ووافته المنية ولم يجمع كتابه، واستطاع سعيد العريان أن يحمل العبء ويتكلف المشاق بجمع الكتاب وترتيبه مستهدياً في ذلك بالجزء الأول من تاريخ آداب العرب، وقد تم طبعه سنة 1940م[2].

يقول سعيد العريان: "اختيار الموضوع كان أول عمل يحتفل له الرافعي، وإذا كان لم يعمل في الصحافة قبل اشتغاله بالرسالة، فإنه لم يتعود من قبل أن يفتش عن موضوع إذ لم يكن يحاول الكتابة إلا أن يدفعه إلى الكتابة دافع"[3].

ويعتبر كاتبنا أول من خص الإعجاز القرآني بكتاب مستقل في العصر الحديث بعد السيوطي فلم يشغل الفراغ في هذا المجال بالذات غيره، وهو يُعد من المعاصرين القلائل الذين فهموا الإسلام فهماً صحيحاً وغاصوا في أعماق الشريعة الإسلامية[4].

ويقول مصطفى الشكعة معلقاً على كتابه هذا: "إن الرافعي بسبب تمسكه بهدفه الذي ألزم به نفسه كان سبباً في انحراف المؤلف عن المنهج التقليدي الذي وضعه المستشرقون لدراسة الأدب العربي وضع منهجاً ابتكره بنفسه "رآه أليق" بدراسة الأدب العربي، أما منهجه فتمثل في رحلة دينية علمية ثقافية طويلة تناولت القرآن نزولاً وجمعاً وتدويناً وترتيباً في بسطة من القول المعتمد على الحقائق التاريخية"[5].

1- ينظر: البدري مصطفى نعمان حسين، الإمام مصطفى صادق الرافعي، ص: 210.

2- المرجع نفسه، ص: 212.

3- ينظر: سعيد العريان، حياة الرافعي، ص: 220.

4- مصطفى الشكعة، مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً، ط3،الذار المصرية اللبنانية،1999م،ص: 60.

5- المرجع السابق، ص: 56.

كذلك نجد الرافعي في هذا الكتاب يتكئ في ثقافته وأسلوبه على التراث العربي الإسلامي فلا غرو إذا وجدناه متأثراً بما حفظه من تراث العرب، وبيان فصحائهم وكثرة قراءاته في كتب الجاحظ وابن المقفع وأبي الفرج الأصفهاني، ناهيك عن حفظه القرآن واطلاعه على علومه في كتب التراث،فهو يعتني بالتراكيب أكثر من عنايته بالألفاظ، ينتهج في ذلك منهج القدماء، ويتراوح أسلوبه بين السهولة والعمق والشدة والقوة وسلاسة المعني[1].

وقد وضع الرافعي كتابه هذا متبعاً الدراسة الأدبية في ذلك لأنه انطلق من حقيقة أن اللغة العربية لغة جديرة بالعناية والقداسة لأنها لغة القرآن الكريم، لمالها من ثراء وعمق واتساع وصلة به فعمد الرافعي أن يكون الجزء الثاني من كتابه دراسة للقرآن الكريم وإعجازه، والبلاغة النبوية[2].

والكتاب هو عبارة عن باب، وهو الباب الثاني تحت عنوان (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) وقدّم له الكاتب ولم يَفُتهُ في مقدمته التذكير بأن كتابه هذا بجزئه هذا وبابه هذا لاحق لما قدّمه في الجزء الأول من (تاريخ آداب العرب)، والذي كان مقصوراً على الكلام في اللغة وروايتها، وباعتبار القرآن معجزة هذه اللغة في بلاغة نظمه واتساق أوضاعه وأسراره[3].

كما جاء الكاتب على ذكر كثرة الكلام في إعجاز القرآن من علمائنا رحمهم الله غير أنه عاب عليهم بأنهم يأخذون في كل جهة ولا يوفون جهة حقها ولكثرة تجادلهم واختلاف عقائدهم كما ينبه أن ما أورده في كتابه هذا ليس لحد الكفاية الذي يورث الاستغناء وأنه لا يدّعي أنه أحاط بجميع وجوه الإعجاز من كتاب الله[4] إلا أنه استفرغ الهم والتمس كل ملتمس ويرئ إلى النفس من تبعة التقصير وفي الأخير يطلب من كل قارئ للكتاب إطالة الفكر والتأمل، ليصل إلى الاستنباط والاستخراج[5].

1– ينظر: مصطفى الجوز، مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية العربية المطلقة على السريانية، ص: 70.

2– بتصرف: مصطفى الشكعة، الرافعي وإعجاز القرآن الكريم، ط3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 2010، ص: 24.

3– ينظر: مصطفى صادق الرافعي إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط1، دار الأصالة، الجزائر، 2010 ص: 19.

4– المصدر نفسه، ص: 20.

5– المصدر نفسه، ص: 21.

في مستهل الكتاب مقدمات وكلام قيل في الكتاب ومؤلفه، حيث قال المغفور له سعد باشا زغلول كلمة في الكتاب وجهها للأستاذ مصطفى صادق الرافعي، شكره على اجتهاده في وضع كتابه، ونوّه بفضل الكتاب في تأييد بلاغة القرآن الكريم وإعجازه[1]، وتلته مقدمة الطبعة الثالثة، والتي يقوم فيها الكاتب على ذكر فريق المعصية وعصبة الشك أفراد الضلالة والمشككين في القرآن الكريم وحذّر من الاختلاط بأهل الفتن والمتحاملين على القرآن[2].

ثم تأتي بعده كلمة الدكتور يعقوب صروف فيقول: "يَجِبُ على كل مسلم عنده نسخة من القرآن، أن تكون عنده نسخة من هذا الكتاب"[3].

وبعدها مقدمة الطبعة الثانية وهي عرض للكتاب بقلم المرحوم السيد محمد رشيد رضا، حيث أشاد بالكتاب وشهد للرافعي بالنزاهة كما وجّه دعوة لقراء العربية لِقراءة هذا الكتاب[4].

وبعد ذلك يعرّف الرافعي القرآن الكريم تعريفا لا يرصف حروفه غيره، تأتي وكأن بها لآلئ انتظمت حروفها بعطر لمساته وكأنها نفس حيَّة تعولنا بشخصه حاظراً [5].

ويرى الرافعي أن الله سبحانه وتعالى قد جمع أسس الفضيلة في القرآن الكريم ومهما حاول الناس الصد عنه ومعارضته ما أمكنهم ذلك[6].

1– مصطفى صادق الرافعي،، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ، من ص: 3 إلى ص: 4.

2– المصدر نفسه، من ص: 5 إلى ص: 11.

3– المصدر نفسه، ص: 12.

4– المصدر نفسه، من ص: 13 إلى ص: 17.

5– المصدر نفسه، ص: 22.

6– الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 22.

الفصل الأول

الفصل الأول:

تاريخ القرآن جمعه وتدوينه:

بعد فراغ الكاتب من تعريف القرآن، انتقل إلى تاريخ القرآن جمعه وتدوينه فبين خصائصه ومميزاته، كيف أنزل منجماً وأسباب ذلك، ويرى الرافعي نقلا عن أهل الحديث أن التنجيم كان سبباً ووجهاً من وجوه تحدي القرآن للعرب وحجة عليهم.

فيذكر الرافعي بأن القرآن منجماً في بضع وعشرين سنة، فربما نزلت الآية المفردة، وربما نزلت آيات عدة إلى عشر، كما صح عن أهل الحديث، وقد كان ابتداء الوحي في سنة 611 للميلاد بمكة ثم هاجر منها النبي صلى الله عليه وسلم في سنة 622 إلى المدينة، فنزل القرآن مكياً ومدنياً[1].

ويضيف الرافعي عن كتاب القرآن: فقد أجمعوا على نفر منهم: علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وأُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود (فأسفر ذلك عن وجود ثلاث مصاحف) مصحف ابن مسعود ومصحف أُبي، ومصحف زيد، وكلهم قرأ القرآن وعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم[2].

يقول محمد رجب البيومي "وكي ننصف القارئ والمؤلف معا نذكر أن الكتاب لم يقتصر على حديث الإعجاز فحسب، بل مهّد لهذا الحديث بفصول تخصّ تاريخ القرآن جمعاً وتدويناً..."[3].

ويضيف الرافعي أنه بقراءته كان يقرأ عليه الصلاة والسلام وكان يصلي إلى أن لحق بربه ولذلك اختار المسلمون ما كان آخر[4] ويقول الرافعي بأن خبر مصحف علي فالظاهر أنه مجرد خبر شيعي، وبعد موقعة اليمامة ومقتل عدد كبير من الحفاظ طالب عمر أبا بكر بجمع القرآن في مصحف، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر ينتظر بها وقتها أن يحين حتى إذا توفي سنة 19هـ،صارت بعده إلى عمر، فكانت عنده حتى مات، ثم كانت حفصة ابنته صدراً من ولاية عثمان

1- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 26.

2- المصدر نفسه،من ص 27 إلى ص29.

3- محمد رجب البيومي، مصطفى صادق الرافعي فارس القلم، ط1، دار القلم، بيروت، 1417هـ، 1997م، ص: 96.

4- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 30.

ويومئذ اتسعت الفتوح وتفرق المسلمون في الأمصار، فأجمعوا أمرهم أن ينتسخوا الصحف الأولى التي كانت عند أبي بكر، وأن يأخذوا الناس بها ويجمعوهم عليها [1].

1– مصطفى صادق الرافعي،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 32.

القراءة وطرق الأداء:

يذكر الرافعي في هذا المبحث تفصيلا مهما ووجهاً من وجوه الإعجاز المتعلق بطرق الأداء اللغوي والنظم القرآني، ولا يخلو هذا العرض التاريخي من تعقيبات للكاتب يشير فيها إلى عظمة القرآن،وينبه إلى وجوه الإعجاز،كما جاء في قوله ومن أعجب ما رأيناه في إعجاز القرآن وإحكام نظمه، أنك تحسب ألفاظه هي التي تنقاد إلى معاينة[1].

فيقول الخطابي في كتابة "وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً ولا أشد تلازماً، وتشاكلا من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها..."[2].

وفي اختلاف القراءات، كتب الرافعي أنه روى عن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك فكدت أساوره في الصلاة، فصبرت حتى سلم فلما سلم، لببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها. قال أقرأنيها رسول الله (ص)، فقلت كذبت فوالله. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أقرأني هذه السورة، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ يا هشام: فقرأ عليه: فقال: هكذا نزلت ثم قال: "اقرأ يا عمر" فقرأت، فقال هكذا نزلت ثم قال "إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما يتسر منها"[3].

1- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 37.

2- الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تحق محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، مصر، 1976م، ص: 28.

3- المصدر السابق، ص: 38.

القُـــرّاء:

يتحدث الرافعي في هذا المبحث عن عهد القراء الذي أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم، وذكر سبعة مِنْ مَنْ اشتهروا بالإقراء: عثمان وعلي وأُبي، وزيد بن ثابت، وابن مسعود وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري، وعنهم أخذ كثير من الصحابة والتابعين[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

"ذكر أبو عبيدة القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فعدَّ من المهاجرين الخلفاء الأربعة طلحة وسعداً وابن مسعود وحذيفة وسالماً وأباَ هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة، ومن النساء عائشة وحفصةَ وأُمَّ سلمة، ولكنّ بعض هؤلاء إنما أكمله بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم، وعد ابن أبي داوُد في كتاب الشريعة من المهاجرين أيضاً تميم بن أوسٍ الدّاريَّ وعقبة بن عامر، ومن الأنصار عُبادةَ بن الصَّامِتِ ومعاذاً الذي يكني أبا حليمة ومجُمَّع بن حارَثَةَ وفَضَالَةَ بن عُبيدٍ ومُسْلَمَة بن مخَلدٍ وغيرهم، وصرح بأن بعضهم إنما جَمَعَهُ بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم، وممّن جمعه أيضاً أبو موسى الأشعري ذكره أبو عَمْرٍ والدَّانيُ، وعدّ بعض المتأخرين مثل عَمْرُ بن العاص وسَعْد بن عباد وأمُّ ورَقَة"[2].

كما أضاف الرافعي أنهم اعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، لما رأوا من مساس بالقرآن بعد اضطراب السلائف، وذهب إلى ذكر الأئمة السبعة الذين تنسب إليهم القراءات اليوم وهم: أبو عمر بن العلاء شيخُ الرواة المتوفي سنة 154هـ، وعبد الله بن كثير المتوفي سنة 120هـ، ونافع بن نعيم المتوفي سنة 169هـ، وعبد الله بن عامر اليَحصي المتوفي سنة 118هـ، وعاصم بن بَهَدلة الأسدي المتوفي سنة 128هـ، وحمزة بن حبيب الزيات العجلي المتوفي سنة 156هـ، وعلي بن حمزة الكسائي إمام النحاة الكوفيين المتوفي سنة 189هـ[3].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 41.

2- ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تح مجد الدين الخطيب، دار الكتب السلفية، ج 9، ص: 52.

3- المصدر السابق ،من ص38 إلى ص40.

وجوه القراءة:

أما عن وجوه القراءة، فيقول الرافعي إن العلماء قد اتفقوا على أن القراءات متواترة وأحاد وشاذة، وجعلوا المتواتر السبع والأحاد الثلاث المتممة لعشرها ثم ما يكون من قراءات الصحابة رضي الله عنهم مما لا يوافق ذلك، وما بقي فهو شاذ[1].

ويذهب الرافعي إلى ذكر أركان ثلاثة إن هي اجتمعت، اعتبرت القراءة صحيحة، وهي: موافقة العربية، ورسم المصحف، وصحة السند[2].

وهذا بالضبط ما ذهب إليه عبد الفتاح القاضي في كتابه ذكر علماء القراءات قاعدة تعرف بها القراءات المقبولة وتميزها عن غيرها من القراءات الشاذة المردودة وهذه القاعدة هي: كل قراءة وافقت اللغة العربية، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، وثبتت بطريقة التواتر، نقول كل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة موافقة اللغة، وموافقة أحد المصاحف، وثبوتها بطريق التواتر هي القراءة التي يجب قبولها، ولا يحل جحدها وإنكارها، وهي من جملة الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، ومتى لم تتحقق هذه الأركان كلها أو بعضها في قراءة فهي شاذة مردودة[3].

كما أتى الرافعي على ذكر أول من أشتهر من القراء بالشواذ، وهو أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي في أواخر المائة الثانية، وذكر ابن شنبوذ المتوفي سنة 228هـ، الذي كان كثير اللحن قليل العلم، وأيضا أبو بكر العطار النحوي المتوفي سنة 354هـ ومن قراءاته في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيا ﴾[4]، حيث قرأها "نُجُبًا" فأزالها بذلك عن أحسن وجوه البيان العربي[5].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 44.

2- المصدر نفسه، ص: 45.

3- عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1401هـ، 1981م، ص: 7.

4- سورة يوسف، الآية: 80.

5- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 45.

قراءة التلحين:

القراءة عند الرافعي لها ثلاث مراتب : تحقيق، وصدر، وتدوير، وقد ابتدع في القراءة و أداء التلحين تناقلته مجموعة مفتونة قلوبهم، وقلوب المعجبين بهم وهو يشبه الغناء [1].

وذكر الرافعي أنواعه عندهم وهي (الترعيد)وهو أن يرعد القارئ صوته قالواكأنه يرعد من البرد و (الترقيص) وهو أن يروم السكوت على الساكن ثم ينقر مع الحركة كأنه في عدو و هرولة و (التطريب)وهو أن يترنم بالقرآن ويتنعم به فيمد في غير مواضع المد ويزيد في المد، و(التحزين) وهو أن يأتي القراءة على وجه حزين يكاد يبكي مع خشوع و خضوع، و(الترديد)وهو رد الجماعة على القارئ في ختام قراءته بلحن واحد على وجه من تلك الوجوه.[2]

كما يذكر الرافعي أول من قام بالتلحين وهو عُبيد الله بن بكرة و كانت قرائته حزناً،فورث ذلك عنه حفيده عبد الله بن عمر بن عبيد الله.[3]

يقول ابن بطّال في كتابه –شرح صحيح البخاري– في باب من لم يتغنى بالقرآن:"فيه أبوا هريرة قال النبي عليه السلام : لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن، وقال صاحب له يريد أن يجهر به، وقال مرة: ما أذن النبي صلى الله عليه وسلم يتغنى بالقرآن، قال سفيان: تفسيره يستغني به، وذكر في كتاب الاعتصام حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزاد غيره: يجهر به، ذكره في باب قوله تعالى:﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾[4].

ويضيف ان بطّال في باب البكاء عند قراءة القرآن ذكر أبو عبيد عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُصلي ولجوفه أزيز كأزيز الرجل من البكاء[5].

1– الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص:36.

2– المصدر نفسه، ص:37.

3– المصدر نفسه،ص:38.

4– ابن بطّال، شرح صحيح البخاري، ضبطه أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض، ج10، ص: 258.

5– المصدر نفسه، ص: 281.

ويأتي الرافعي على ذكر الصحابة والتابعين الذي أحكموا القراءة وأحسنوا وجوهها بأفصح مخرج وكأنما يسمع من القرآن غضاً طرياً لفصاحته وعذوبته وانتظام نبرته[1].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 38.

لغة القرآن:

أفراد الرافعي مبحثاً في لغة القرآن بعد أن أشار إلى التفصيل فيها في الجزء الأول من تاريخ آداب العرب إذ يبين أن القرآن نزل بلغة أهل قريش، وكان ذلك طبيعياً، فإن اختار لغة العرب ليتنزّل بها آخر كتب الله تعالى للإنسان على تعدد لغات البشر واختلاف ألسنتهم، ويشير إلى فضيلة بيان امتاز بها اللسان العربي[1].

يقول شوقي ضيف إن القرآن الكريم جمع العرب على لهجة قريش، فأخذت تعم القبائل الجنوبية متغلغلة في الأنحاء الداخلية التي كانت لا تزال تتكلم الحميرية، وحفظ القرآن أتاح للهجة القريشة أن تنتشر في العالم الإسلامي وأن تظل على مرّ العصور غضّة لا تبلى مع الزمان، فأصبحت اللسان الأدبي من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسي[2].

وقد ذهب الرافعي إلى ذكر لغات أخرى نزل بها القرآن الكريم غير لغة قريش وهي لغة بني سعد بن بكر، ويتحدث النبي صلى الله عليه وسلم مستعرضاً فيهم وهي إحدى لغات العجز من هوازن، ثم سائر هذه اللغات وهي جُشَمُ بن بكر ونَصرُ بن معاوية وثقيف، وهي أفصح لغات العرب جملة ثم خزاعة وهذيل، كنانة، وأسد وضئنة، وكانوا على قرب من مكة يكثرون التردد إليها ومن بعدهم قبس[3].

ويقول ان بطّال: "فهذا ختم من الله تعالى (لكل أمة) بعث إليها (رسولا) ليبين لهم ما أنزل إليهم من ربهم، فإن عزب معناه على بعض من سمعه، بيّنه الرسول له بما يفهمه المبين له، ودل قول عثمان، إذا اختلفتم في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإنه نزل بلسانهم على تشريف قريش على سائر الناس وتخصيصهم بالفضيلة الباقية إلى الأبد"[4].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 50.

2- ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ط7، دار المعارف، مصر،1119هـ، ص: 31

3- المصدر نفسه ، ص: 31.

4- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ص: 218-219.

الأحرف السبعة:

وفي هذا المبحث يورد الرافعي حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله: "أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل منها ظَهرٌ وبَطَنٌ، ولكل حرف حدّ، ولكل حدّ مطلع" ثم اختلفوا في تأويله وفي تفسير هذه الأحرف ولكن الأكثرين اجتمعوا على أنها سبعُ لغاتٍ من لغات قريش وألفاظها من ظواهر مكة إلى قبس[1]. ويذكر قول بعض العلماء :إني تدبرت الوجوه التي تختلف بها لغات العرب فوجدتها على سبعة أنحاء لا تزيد ولا تنقص، وبجميع ذلك نزل القرآن: الوجه الأول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك والثاني ابدال حرف بحرف كالتابوت والتابوه، والثالث التقديم والتأخير إما في الحرف أو في الكلمة والرابع زيادة حرف أو نقصانه، والخامس اختلاف حركات البناء. والسادس اختلاف الإعراب والسابع التفخيم والامالة[2].

يقول ابن بطّال: "ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خيراً طمأن به" والمراد بالحرف هنا الوجه الذي تقع عليه العبادة والثاني أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يسمي القراءات أحرفاً على طريق السعة كنحو ما جرت عليه عادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه، فسمى النبي القراءة حرفاً.[3]

ويضيف الرافعي بأن المراد بالأحرف اللغات التي تختلف بها لهجات العرب حتى يوسع على كل قوم أن يقرؤونه بلحنهم، وما كان العرب يفهمونه من معنى الحرف في الكلام إلا اللغة وقد جعلوه سبعة نسبة لما ألفوه من معنى الكمال فيما يتعلق بهذا العدد (السماوات السبع، الأرضين السبع والأيام السبع) التي برئت فيها الخليقة وأبواب الجنة والجحيم[4].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،من ص 51إلى ص53.

2- المصدر نفسه، ص: 54–55.

3– ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ص: 218–219.

4– المصدر السابق، ص: 56.

مفردات القرآن:

بداية هذا المبحث يعرّف الرافعي غريب القرآن في اللفظة الحسنة المستعربة في التأويل بحيث لا تساوي في العلم بها وأهلها وسائر الناس[1].

ويقول الرافعي بأن مجموعة سبعمائة لفظة أو تزيد قليلاً جميعاً روى تفسيرها بالسند الصحيح عن ابن العباس (رضي الله عنه) وهو معجم لغوي حي، كانوا يرجعون إليه، ويقول الرافعي إن العلماء قد سموه (إعراب القرآن) لأنهم يستبينون معانيه ويخلصونها[2].

قال الخطابي في بيان إعجاز القرآن: "ومن هنا تستميت كثير من السلف تفسير القرآن وتركه القول فيه حذراً أن ينزلوا فيذهبوا عن المراد وإن كانوا علماء باللسان وفقهاء بالدين، فكان الأصمعي وهو إمام اللغة لا يفسر شيئاً من غريب القرآن، وحكى أنه سُئل عن قوله سبحانه وتعالى:﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبا﴾ فسكت وقال هذا في القرآن، ثم ذكر قولاً لبعض العرب في جارية القوم أرادوا بيعها: أتبيعوننا وهي لكم شغاف؟ ولم يزد عن ذلك ونحو هذا الكلام وجملة ما عدوه من ذلك في القرآن كله سبعمائة لفظة أو تزيد"[3].

ويذكر الرافعي من الألفاظ ما يسميه أهل اللغة بالوجوه والنظائر والأفراد، فيعرف الوجوه والنظائر بأنها الألفاظ التي وردت بمعان مختلفة كلفظة الهدى فيها سبعة عشر وجهاً (الثبات والدين والدعاء...) ويعرف الأفراد: هي ألفاظ تجيء بمعنى غير المعنى الذي استعملت فيه عادة[4].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،:ص57.

2- المصدر نفسه، ص: 58.

3- ينظر: الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص: 22.

4- المصدر السابق ، ص: 58.

تأثير القرآن في اللغة:

يرى الرافعي أن النمط الذي جاءت به لغة القرآن، معجزة في قليله وكثيرة معاً، وشبّه هذا الاعجاز في كمال نسقه بالنور، وتجزأه لا يخرجه من طبيعته[1].

ويضيف الرافعي بأن الله سبحانه وتعالى حلى العربية على التاريخ كلّه لا على جيل العرب بخاصته وهنا يطرح الرافعي قضية بالغة الأهمية، فعادة ما تكون اللغات دليل أقوامها تعرف بتطورها السمات الخاصة التي قد تتميز بها أمة من الأمم في ميْدان من الميادين، ويرى الرافعي بأن القرآن خلَّد اللغة العربية وأعطاها أكسير الحياة، فحفظ هذا الكتاب نصوصاً من لهجات العرب التي لا يرى شك إلى فصاحتها وسلامة ألفاظها لغةً وأداءً[2].

يقول شوقي ضيف: "القرآن الكريم مفخرة العرب في لغتهم، إذ لم يُتح لأمة من الأمم كتاب مثله لا ديني ولا دنيوي من حيث البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب ،كما أنه جمع العرب على لهجة قريش، أتاح للهجة قريش لا أن تنشر في العالم الإسلامي فحسب، بل أن تظل على مرّ العصور الجديدة، وحوّل العربية إلى لغة ذات دين سماوي باهر، كما هذّب اللغة من الحوشية ومن اللفظ الغريب، فأقامها في هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة، وعلى أسلوبه البالغ الروعة والذي ليس له سابقة ولا لاحقة قام عمود الأدب العربي"[3].

وفي بيان جزل قوي فيه عمق وفلسفة، يصنف المؤلف صعوبة قياس بلاغة القرآن ببلاغة البشر إذ عدَّها من أعضل الأمور، لأن قياس العجز هنا متعلق بأمر معنوي وهو الله، خاصة إذا كان أمر اللغة فطرة فيهم[4].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 59.

2- المصدر نفسه، ص: 60_61.

3- ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص: 205-206-207.

4- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 62.

وفي إثباته لأهمية تأثير القرآن على اللغة، يورد الكاتب مجموعة من الشواهد القرآنية كقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) قُرْآنًا عَرَبِيا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1][2].

1– سورة الزمر، الآية: 28.

2– الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،ص63.

الجنسية العربية في القرآن:

هو مبحث أورده الرافعي ضمن كتابه هذا، ويقصد بالجنسية العربية ما تركه القرآن في العرب من أثر إذا خلصهم من العصبية القبلية، ومقاصد هذه المعجزة تحقيق هذه الوحدة السياسية، حيث يرى الكاتب أن سياسة القرآن جمع العرب لمذهب الأقدار وتصاريف التاريخ، وقد نزل منهم منزلة الفطرة الغالبة التي تستمد بالتكوين العقلي في كل أمة، فيقول الرافعي "لو أنهم حاولوا طوال الدهر على أن يهذبوا من لغتهم ليبلغوا بها مبلغ الكمال الوضعي، على النحو الذي جاء به القرآن، لما ازدادوا إلا تعدياً، وتباعداً"[1] ويضيف بأن القرآن الكريم قد سفّه أحلام العرب وخلع آلهتهم، وقمع طغيانهم، وهنا يتطرق الكاتب للفرق بين العمل الإنساني (الممكن)، والعمل الإلاهي (المعجزة)[2].

والقرآن الكريم في رأيه قد نزل منزلة الزمان لأن من أنزله بقدرته هو خالق الزمن نفسه، وجمع بين بني البشر وساوى بين نفوسهم، فالقرآن بدأ بالتأليف بين مذاهب الفطرة اللغوية في الألسنة، ثم ألف بين القلوب على مذهب واحد[3].

ويقول الرافعي إن من أعجب ما يروع من أمر الجنسية العربية في القرآن أنها تأبى إلا أن تحفظ على أهلها تلك الصفات العربية من الأنفة والعزة والصوت والغلبَ، ويضيف الكاتب أنه لولا أن القرآن الكريم جاء على وجه واحد وهيئة ثابتة ما بقيت العرب، بل لذهب كل فرع بما أحدث من الألفاظ[4].

ويتجه الكاتب للمقارنة بين القرآن والتوراة والأناجيل[5].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 65-66.

2- المصدر نفسه، ص: 67.

3- المصدر نفسه، ص: 67-68.

4- المصدر نفسه، ص: 69-70.

5- المصدر نفسه، ص: 71-72.

آداب القرآن:

هي من هم ما تعرض له الرافعي في كتابه هذا في رأي النقاد.

يقول مصطفى الشكعة: "ثم يتعرض الرافعي إلى الجوانب الاجتماعية المستندة من طبيعة الإعجاز فيتحدث عن أثر القرآن في تهذيب الروح العربية، ويُفرقُ بين عصبة الدم وعصبة الروح ويجري دراسة مقارنة بين التوراة والإنجيل والقرآن واللغة والقومية والفصحى والعامية ويفرد المؤلف بابا طويلاً للآداب القرآنية يتضمن الآداب الإنسانية، والفرد والجماعة، والحرية وحدودها"[1].

يعني الكاتب بالجنسية العربية ما تركه القرآن في العرب من أثر إذ خلصهم من العصبية القبلية إلى عصبة الروح والدين، فكانت مقاصده هذه المعجزة تحقيق هذه الوحدة السياسية التي تركها القرآن فيها لأنها توافقت وفطرتنا في القديم والحاضر، الفطرة التي جعلنا الله بها مستعدين لاستقبال هذه المعجزة وتقبلها وتوارثها[2].

وحتى يثبت الرافعي حجته ذهب إلى عقد مقارنة بين الكتب السماوية السابقة وبين القرآن واستشهد بذلك بالتوراة والانجيل، وتساءل هل ظلت الكتب السماوية على حالها، هل من أحد اليوم يقرأها بلغتها الأصلية[3].

يقول الدكتور عبد العفيف طبارة في روح الإسلام: "طال الزمن على الكتب السماوية السابقة وتناولتها الأيدي بالتبديل والتأويل، وبلغت الاختلافات الدينية مبلغاً كبيراً، وكانت البشرية في خطر المروق من دين الله والاستسلام للوثنية والإلحاد، وأصبح العالم في حاجة إلى وحي من الله يجنبه مواطن الضلال، ويهديه إلى سواء السبيل وكان أهل كتاب يكفرون من عدادهم واختلفوا في معركة الحقيقة الإلهية وكنف الدين، فجاء القرآن يبيّن الحق من الباطل، ويبين للناس ما أشكل عليهم"[4].

1- مصطفى الشكعة، مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً، ص63.

2- فاضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، جامعة القدس المفتوحة، 1418هـ، 1991م، ص: 49.

3- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص:83،82.

4- عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، ط3، دار العلم للملايين، ص: 234.

القرآن والعلوم:

يُنوه الرافعي بأن للقرآن وجهاً اجتماعياً من حيث تأثيره في العقل الإنساني وهو معجزة التاريخ العربي خاصة، وهو أصل النهضة الإسلامية، ويشير الكاتب إلى أنه أومأ إلى بدء تاريخ التدوين العلمي وبعض أسبابه في باب الرواية من الجزء الأول من تاريخ آداب العرب، ويقتصر هنا على موجز من أسباب النشأة العلمية[1].

ويضيف الرافعي بأن القرآن الكريم قد نزل في البادية على نبي أُمّي وقوم أميّين، ولكن معانيه الرائعة والفاتنة حملوه على ظاهره وأخذوا منه حُكم زمانهم، وكان لهم في بلاغته المعجزة مُقنع، فأنزل القرآن ليخرج الأمة من كل معنى علماً برأسه، وقد كانت النهضة العلمية في زمن بني أمية قائمة بأكثر العلوم الإسلامية التي مرّت الإشارة اليها (علوم الفلسفة والكلام)[2].

يصف أحمد أمين هذه الحقبة قائلاً "أول ما نلاحظ أن الأمة الإسلامية في هذا العصر خطت خطوة جديدة في حياتها العقلية وحركتها العلمية وكان هذا نتيجة لازمة لكل ما أحاط بها من بيئة طبيعية واجتماعية"[3].

ويقول شوقي ضيف "وكان أوّل ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم: (اقرأ بسم ربك الذي خلق) فالدعوة الى العلم أسبغها الله على الانسان تقترن بآيات القرآن الأولى، ودائما تردد فيه الإشادة بالعلم والعلماء"[4].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 89-96.

2- المصدر نفسه، ص: 93-96.

3- أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997م، ج2، ص: 01.

4- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص: 17.

سرائر القرآن:

وفي هذا المبحث يتطرق الكاتب لكتاب الغازي أحمد مختار باشا، الذي أسماه (سرائر القرآن) فوصفه بالقائد العظيم وتطرق لكتابه الذي قال عنه أنه بُني على سبعين آية من كتاب الله تعالى فسرها بآخر ما انتهى إليه العلم الحديث في الطبيعة والفلك، وأن هذا الكتاب سبق العقل الإنساني ومخترعاته بأربعة عشر قرناً إلى زمننا ،وما ذاك إلا فصل من الدهر وستعقبه فصول بعد فصول[1].

ويتطرق الرافعي إلى تقسيم كتاب "سرائر القرآن" فيقول إنها ثلاثة فصول الأول في كيفية تكوين العالم ووجود الحياة والثاني في يوم القيامة أو خاتمة عمر الأرض، والثالث في المباحث والآيات القرآنية المتعلقة بإعادة الخلق وكل ذلك مطبق على نظريات وآراء الحكماء الأولين والآخرين إلى عصرنا ثم ما يؤيد حقيقة ما انتهوا إليه من آيات القرآن الكريم[2].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 106.

2- المصدر نفسه، ص 107.

تفسير آية:

وفي آخر مبحث من فصله، ارتأى الرافعي تفسير آية من الكتاب الحكيم والتي قد اعتمد فيها على تفسير بعض كتب العلامة داود الأنطاكي المتوفي سنة 1008هـ[1].

الغازي أحمد مختار باشا هو دياني تركي... من كبار القادة العثمانيين وكتابه تفسير لسبعين آية من كتاب الله مفسّرة تفسيراً علمياً ويقرر الكاتب أن ذكر الآيات الكونية والعلمية في القرآن دليل على نوع آخر من الإعجاز[2].

أما الآية فهي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)﴾[3].

وبالنسبة للتفسير فيقول: قال جل من قال " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ " يعني إيجاداً واختراعاً " مِن سُلَالَةٍ " هي الخلاصة المختارة " ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً " تحقيق لمصار إليه الماء من خلع الصور البعيدة والضمير إما للماء حقيقة أو للإنسان بالمجاز، " فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ " يعني الرحم، " ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً " أي صيرناها دما قابلا للتمدد والتخلق بالزوجة والتماسك " فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً " أي حولنا الدم جسماً صلباً، " فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا " أي صلبنا تلك الأجسام بالحرارة الإلهية حتى اشتدت " فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا " أي حال تحويل الدم للعظام[4].

وليس الرافعي وحده من مال إلى هذا النوع من الإعجاز أو التفسير كذلك نجد العلامة جلال الدين السيوطي والإمام الغزالي ينحو منحى الرافعي في القول بالتفسير العلمي، ويقرر ذلك بوضوح وتوسع في كتابه الإتقان والإمام الرازي رائد هذا المنهج من الناحية التطبيقية وقبول منهجه بالنقد [5].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 108.

2- ينظر: خير الدين الزركلي، الإعلام، ط5، دار العلم، 2002، ج1، ص: 255.

3- سورة المؤمنين، من الآية 12 إلى الآية 14.

4- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 108

5- ينظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، 1999م، ص: 238.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

إعجاز القرآن:

استهل الكاتب مقدمته بتعريف موجز للإعجاز، حيث حصره على شيئين اثنين:ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ،واستمرار هذا الضعف مع مرور الزمن[1].

هو وجه من وجوه الاعجاز ذكره الرماني: "وجوه الاعجاز تظهر من سبع جهات وذكره تلك المعارضة مع توفر الداعي وشدة الحاجة[2]. والإعجاز عند الطبري (ت 310هـ) "الإعجاز هو عجز العرب عند معارضته ولا تعد السخافات التي جاء بها مسيلمة أو سجاح معارضة"[3].

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 112.

2- الرماني، الخطابي، الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط3، دار المعارف، مصر، 1976، ص: 75.

3- جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ، ص: 148.

القول في الإعجاز:

في أول مبحث من الفصل الثاني يذكر الرافعي أول ما ظهر من الكلام في القرآن، وهو مقالة تُعزي إلى رجل يهودي (لَبِيدْ بَنُ الأَعْصَمْ) حيث قال فيها إن التوراة مخلوقة والقرآن كذلك مخلوق ثم شاعت بعده[1] ويذكر الكاتب أباَ إسحاق إبراهيم النظاَم ويصفه بشيطان المتكلمين وأنه يذهب إلى أن الإعجاز كان بالصرفة[2] وأن الله صرف العرب عن مُعارضة القرآن مع قدرتهم عليها، كما يذكر رأي المرتضى من الشيعة بأن الصرفة أن الله سلبهم العلوم التي يُحتاجُ إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن ورأي الجاحظ في الإعجاز كرأي أهل العربية، وهو أن القرآن في درجة عليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها[3].

ويذهب الرافعي لذكر رأي بعض الفرق بالإعجاز ومن أهم ما ذكره رأي عبد القاهر الجرجاني صاحب (دَلاَئِلْ الإِعْجَاز) ويقول بأنه ليس أول من كتب في الإعجاز كما يظن الكثيرون وإنما سبقه لذلك أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفي سنة 306هـ، ثم عيسى الرماني المتوفي سنة 382هـ[4].

أما الذين يقولون أن القرآن غير معجز فيذكرهم الجاحظ: الجعد بن درهم عيسى بن صبيح المزداد وأصحابه المزدادية، ويفند أقوال هؤلاء المنكرين للإعجاز القرآني عائداً إليهم بالحجة البينة[5].

يقول أحمد أمين: "ولما انتهى المسلمون من الفتح وهدئوا وأخذوا يفكرون ظهرت هذه المسألة (المعتزلة، الجبرية، القدرية)[6] وكان قد تـــكلم فيها من قبل فلاســـفة اليونـــان. وعلى عـــكس هؤلاء

1– الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ص: 115–116.

2– الصرفة لغة من الانصراف، واصطلاحا: أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن وقد اختلف العرب في بيان حقيقة الصرفة، بين أمور ثلاثة: أولا أن الله صرف دواعيهم وهممهم عن المعارضة، ثانيا أن الله سلبهم العلوم الاستبيان بمثله، ثالثا أن الله منهم رغم قدرتهم.

3 – المصدر نفسه، ص: 118–119.

4 – المصدر نفسه، ص: 120–121.

5 – المصدر نفسه، ص: 118–119.

6 – المعتزلة: فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة غلبت عليهم النزعة العقلية الجبرية: فرقة كلامية ننتسب إلى الإسلام، تؤمن بأن الإنسان مسير غير مخيّر القدرية: فرقة كلامية: تنتسب إلى الإسلام، يرون أن الله لا يعلم شيء إلا بعد وقوعه وأن الأحداث بمشيئة البشر.

القدرية طائفة الجبرية وكان أولهم جهم بن صفوان، لذلك تسمى هذه الفرقة الجهمية وكان يقول إن الانسان مجبورٌ لا اختيار له ولا قدرة له"[1].

أما عن أهم المؤلفات في الإعجاز التي جاءت نتيجة حتمية إلى انتشار مذهب الصرفة وظهور الزنادقة والطاغيين في القرآن يقول الرافعي إنها أكثر مما تتسع له الكتب والدواوين، فيذهب لذكر أهمهم، وأول ما أتى على ذكره هو الأديب الجاحظ وكتابه (نظم القرآن) والذي في رأيه (الرافعي) قد أثبت عجز العرب وهم في أوج بلاغتهم من معارضة القرآن الكريم[2].

يقول الجاحظ: "وفي كتابنا المنزل يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها"[3].

كما يذكر الكاتب كتاب (إعجاز القرآن) لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفي 306هـ ويقول أنه أول كتاب وضع لشرح الإعجاز، شرحه عبد القاهر الجرجاني، ويقول الرافعي بأن الواسطي قد بنى على ما ابتدأه الجاحظ كما بنى عبد القاهر على الواسطي، ثم يذكر أبو عيسى الرماني المتوفي سنة 382هـ وبعده أبو بكر البقلاني المتوفي سنة 403هـ، بكتابه (إعجاز القرآن)[4].

يقول الدكتور علي مهدي زيتون رافضاً ما اعتقده الرافعي: "ومما يُعتقد أن مفهوم النظم قد بدأ يعني البناء للنص، وامتد كذلك حتى زمن الطوسي (460هـ/1067م) والطبرسي (548هـ/1153م) وإن كان المعنى الثاني قد شهد لوجود نواة نكت الرماني تفتحت عند عبد الجبار لتؤتي أكلها على يد عبد القاهر ولتمتد حتى زمن الزمخشري والرازي يجعلنا هذا نميل إلى رفض ما ذهب إليه الرافعي من أن الفكرة بدأت عند الجاحظ وانتقلت إلى الواسطي فالجرجاني، لأن وجود

1- أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969م، ص: 348.

2 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 122.

3 – الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي 1384هـ، 1965م، ص: 155.

4 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 123.

هذه الفكرة عند الرماني. ينفى أن تكون قد بلغت من التطور مبغاً مرموقاً عند الجاحظ والواسطي"[1].

1 – علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي من أول القرن الخامس إلى نهاية القرن السابع، ط1، دار المشرق، 1992م، ص: 152.

حقيقة الإعجاز:

يقر الرافعي في هذا المبحث بأن القرآن معجز من وجوه عدة ويخالف في ذلك كثير من العلماء وجعل وجوه الإعجاز في ثلاث، 1 تاريخ القرآن، 2 أثره الإنساني، 3 حقائقه[1].

يشير الرافعي إلى المستوى الذي بلغ إليه العرب من الفصاحة والبلاغة والذي لم يعرف في تاريخهم من قبل، ويرى أن كل ما سبق على القرآن من أمر الكلام العربي وتاريخه وإنما كان توطيداً له وتهيئة لظهوره وتناهياً إليه ودربة لإصلاحهم به وأي شيء في تاريخ الأمم أعجب من نشأة لغوية تنتهي بمعجزة لغوية، ثم يكون الدين والعلم والسياسية وسائر مقومات الأمة مما ينطوي عليه هذه المعجزة ويؤكد الرافعي بأنه لو أن القرآن غير فصيح، أو فصاحته غير معجزة ما نال منهم من الدهر منال ولخلاصة موضعه الذي هو فيه. ثم لكانت سبيله بينهم سبيل القصائد والخطب والأقاصيص[2].

ويكشف المؤلف عن رأيه في إعجاز القرآن، وهو أن فصاحة القرآن هي آية إعجازه، فمهما بلغ المتكلم لغويا كاتبا كان أو غير كاتب فإنه يقف أمام بحر عظيم من الكلمات[3].

ويبين الرافعي في هذا المبحث أو الجزء مراحل التحدي ورتبه كالآتي:

أ- طلب المعارضة بمثل القرآن.

ب- التحدي بعشر سور مثله مفتريات.

ت- اقتران التحدي بالتفريع والتأنيب.

ث- التحدي بسورة كاملة[4].

ويسهب فضل عباس في بيان هذه المراحل بشكل جميل ويتفق مع ما ذهب إليه الرافعي وأكثر العلماء الذين بحثوا هذا الباب من المباحث إعجاز القرآن فلا يكاد يخلوا مصنف من مصنفات الدراسات القرآنية قديمها وحديثها عن التطرق إلى مراحل التحدي إما دراسة بلاغية أو بيانية

---

1 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، من ص: 126 إلى ص: 128.

2 – المصدر نفسه، من ص: 129 إلى ص: 131.

3 – المصدر نفسه، ص: 132.

4– المصدر نفسه ، ص: 135.

أو تفسير تحليلي فإن تحدي القرآن كان في أكثر من آية وفي أكثر من وقت واحد وفي أكثر من مكان كذلك[1].

وقد احتج الرافعي في هذا الباب بالجاحظ الذي في رأيه هو أول من حمل لواء إثبات إعجاز القرآن وذهب لذكر ما جاء به مسيلمة بن حبيب الكذاب الذي زعم أنه قرآن نزل عليه من السماء[2].

يقول نعيم الحمصي: "وإذ تأملنا هذا الكلام الذي جاء به مسيلمة وغيره لوجدته ركيكاً ساقطاً... ويذهب بعض الباحثين إلى أنه من الممكن أن المسلمين وضعوه للتنذر والتهكم ومن القائمين بهذا الجاحظ وغيره كثير"[3].

ويشير المؤلف إلى عبهلة بن كعب المكنى بالأسود العنسي، وأيضاً طليحة بن خويلد بن نوحل ابن نضلة الذي ادعى النبوة[4] وقد ذكر ذلك الطبري في كتابه: "وإن الأَسْوَدَ قد غلب على اليمين فلم يلبث إلا قليلاً حتى ادعى طليحة النبوة وعسكر سميراء واتبعه العوام واستكشف أمره...."[5].

وذكر الرافعي أيضاً النظر المحارث ومن جاء بَعْدَهُ لم يدّعوا النبوة لكنهم زعموا معارضتهم للقرآن، كما ذكر رجلين أنهما بالزندقة والكفر لأنهما عارضا القرآن وهما (ابن المقنع، وابن الرواندي).

وينتهي بنا الرافعي في مبحثه هذا أن لا معارضة حقيقية لإعجاز القرآن فهم فقط تصوروا أنهم بإمكانهم الإتيان بمثله ولكن القرآن أثبت عجزهم أمام حتمية إعجازه لأنه من السهل الممتنع[6].

---

1 – عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن في دراسات السابقين، ص 340.

2– الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 140.

3 – نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ، 1980م، ص: 25.

4 – المصدر السابق ، ص: 143.

5 – ينظر: ابن كثير الطبري، تاريخ الطبري، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ، ص: 432.

6 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،من ص144 ص 166.

أسلوب القرآن:

في هذا المبحث يتحدث الرافعي عن أسلوب القرآن الكريم، وصداه بين العرب، فوصف لنا طرق نظمه ووجوه تركيبه ونسق حروفه في كلماته فيقول الرافعي بأن القرآن أذهلهم من هيبة رائعة وروعة مخوفة، فأحسوا بضعف الفطرة القوية ورأى بلغاؤهم أنه جنس غير ما هم فيه.[1]

ويذهب الرافعي إلى أن العرب انقطعوا عن المعارضة مع تحديهم و إصرارهم[2].

ذكر الرافعي ما عابه العرب عن القرآن الكريم في معارضتهم له و هو معنى (التكرار) حيث أحالوه إلى النقص و الهون، وهو أرفع و أبلغ و أسرى عن الفصحاء، ولو أعجزهم أن يجيؤوا بمثله ما أعجزهم أن يعيبوه لو كان عيباً [3].

كما أتى الرافعي على ذكر من اتهموا النبي بأنه شاعر ليكون القرآن في رأيهم شعراً، فعارضوا ما قالوه، وأكد النبي أن النبي ليس بشاعر و أن القرآن ليس بشعر[4].

1 – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، من ص 151 إلى ص 156

2 – المصدر نفسه، ص 157–158

3 – المصدر نفسه، ص 160.

4 – المصدر نفسه ص 165

نظم القرآن:

يقول الرافعي بأنه يقف على سر الإعجاز الذي قامت عليه هذه الطريقة وانفرد به ذلك النظم، والكلام عنده يتكون من ثلاثة حروف هي من الأصوات وكلمات هي من الحروف، وجمل هي من الكلمات[1].

ويرى الرافعي بأن القرآن بني على البلاغة لأنها في الأصل تركيبه ولا تُبنى هي عليه، والبلاغة فيه كأنها وجه من نظم حروفه، فالحرف الواحد في القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة ليمسك الآية والآيات الكثيرة[2].

ولا ينفي الكاتب السبق للإمام عبد القاهر الجرجاني من دراسته هذا المبحث في كتابه (دلائل الإعجاز).

شرح عبد القاهر الجرجاني نظرية النظم في كتابه دلائل الإعجاز وعرضها عرضاً واسعاً ففي مقدمته عرّف النظم بأنه (تعليق الكلمات بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف والتعليق فيما بينها طرق معلومة، لا يعد وثلاثة أقسام، تعلق اسم باسم تعلق اسم بفعل حرف بها وبذلك كان أول ربطين النظم وعلم النحو)[3].

---

1 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 168.

2 – المصدر السابق، ص 169.

3 – سعد عودة سليمان، البلاغة العربية، دار النهضة الثقافية، ص 176.

الحروف وأصواتها:

يرى الرافعي مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع بما يخرجه فيه مداً أو غنة أو ليناً أو شدة، ويعتبر الحرف أحد أهم عناصره ونبّه إلى أهميته لأنه قوام الفصاحة العربية في أسبابها اللسانية[1].

كما نبَّهَ إلى أهمية حروف القرآن من حيث مخارجها الصوتية في تعديل ما رآه الرافعي معوجاً لألسنة القوم وما اتسمت به حسب وصفه من ما رآه الرافعي استخفاف واستثقال ولين في حرف ونظم مؤتلف ونظم مختلف، ونظرية الاستهواء الصوتي التي عنى بها الفواصل التي تنتهي بها الآيات والتي تعتبر صوراً تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى[2].

وإذا كان الجرجاني قد بدأ في نظرية النظم من التركيب، ولم يُدخل اللفظة في إعجاز القرآن فإن الرافعي قد بَدأ بداية معاكسة، بل أوغل فلم يبدأ من الكلمة في القرآن بل من الحرف[3].

---

1 – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ص: 172–173.

2 – المصدر نفسه، ص: 174.

3 – نور الدين العتر، علوم القرآن الكريم، ط1، مطبعة الصباح، دمشق، 1414هـ،1993م، ص: 261.

الكلمات وحروفها:

يأتي هذا المبحث ليحدثنا عن جانب من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، عن الكلمة ومكانها من الجملة ووجه الإعجاز فيها وتأثيرها النفسي بسبب من موسيقاها وإيقاعها[1].

ونسق الكلام البليغ عند الرافعي من ثلاث أصوات: صوت النفس وصوت الموسيقى للحروف ومخارجها، وصوت العقل وهو الصوت المعنوي عند تركيب جملة في الكلام، صوت الحِسُ هو الأبلغ شأناً، يكون من دقة التصور المعنوي[2].

يقول الدكتور فضل عباس: "فأما صوت الحس هو تقدير الكلمات تقديراً محكماً لمعانيها بحيث لا تجد كلمة فضفاضة تزيد عن المعنى الذي جيئت من أجله وأخرى لا تعبر على المعنى تعبيراً تاماً وهذا ما لا نجد في شعر أو نثر"[3].

ويَسْتَشْهِدُ الرافعي بمجموعة من الشواهد القرآنية بياناً لعناصر الإعجاز في روح التركيب ويوجه أسماعنا إلى نبض كل حرف في القرآن.

كما تحدّث الكاتب عن الغنّة وتأثيرها الإيقاعي، وتكرار الصوت وعلاقته بالتركيب اللساني وطول المفردة القرآنية وأثرها[4]. وقد عاب ابن سنان الخفاجي طول الكلمات، ولا يرجح جماله في القرآن بخلاف ابن الأثير، الذي أشار إلى أهمية جماليات المفردة الطويلة في القرآن والتمس كالرافعي جمال هذه المفردات في القرآن[5].

كما تحدث الرافعي عن الإعجاز الإيقاعي في غريب القرآن، ويقول بأن غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة، فاللفظة الغريبة تتمكن من موضعها، وتؤكد المعنى الذي سيقت له[6].

---

1 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 176.

2 – المصدر نفسه، من ص: 177 إلى ص: 180.

3 – فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم.ص226،227.

4 – المصدر السابق، ص: 182.

5 – الألوسي، روح المعاني، تح عبد الفاري عطية، ط1، ج5، ص: 148.

6 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،من ص182إلى ص187.

الجمل وكلماتها:

وفي المرحلة الأخيرة من مراحل النظم عنده، والتي تتمثل في الجمل وكلماتها يُقدم الرافعي لذلك بحديث عام عن الجملة فيشير إلى أنها هي مظهر الكلام، وهي الصورة النفسية للتأليف الطبيعي إذ يحُيل بها للإنسان هذه المادة المخلوقة في الطبيعة إلى معاني تصورها في نفسه[1].

ثم يأخذ الرافعي في عرض مراتب النظم في الكلام البليغ حتى يصل إلى مرتبة النظم في القرآن الكريم، ويقرر أن للنظم روحاً خاصةً انفرد به وجعل له ذلك الطابع الذي لا يلتمسُ في غير القرآن[2]. وبعد ذلك يذهب الرافعي إلى ذكر خصائص الجملة القرآنية وهي قوة التأثير ودقّة التركيب وطرق التصوير، وروح التركيب[3].

1 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، من ص: 189 إلى ص: 191.

2 – المصدر نفسه، من ص: 192 إلى ص: 195.

3 – المصدر نفسه، ص: 196.

الفصل الثالث

الفصل الثالث:

غرابة أوضاعه التركيبية:

يرى الرافعي أن الوضع التركيبي شطر الإعجاز في القرآن الكريم، مثل ما سبق وأن قدمه وأن القارئ تبادره غرابته فيعلم أن هذا الوضع أو التركيب ليس من صنع الإنسان، ولن يجد ألفاظاً في غرابة تركيبها (التي هي صفة الوحي)، ولن ترى كهذه المعاني الإلهية التي تكسب الكلام غرابة فيها من الروعة ما ليس في غيرها[1].

و يقول الرافعي بأن العلماء أجمعوا أن ألفاظ القرآن الكريم بائِنَةٌ بنفسها متميزة عن غيرها ورأى في القرآن الكريم (المعجم التركيبي) من الوجهة البلاغية حين عده الأصل في فنون البلاغة كلها فما يكون في المنطق العربي نوع بليغ إلا هو فيه على أحسن ما يمكن[2].

قال ابن كثير رحمه الله: «و أما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلاً وإجمالاً ممن فهم كلام العرب و تصاريف التعبير ، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة، سواءٌ كانت مبسوطة أو وجيزة ، وسواءٌ تكررت أم لا»[3].

---

1 – الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، من ص199إلى ص 201.

2 – المصدر نفسه، ص 202،203.

3 – ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم، تح أبي إسحاق الحويني، ط1، دار ابن الجوزي،1431هـ–ج1، ص426.

الفصل الرابع

الفصل الرابع:

البلاغة في القرآن الكريم:

وفي هذا الفصل يذكر الرافعي أنواع البلاغة في القرآن الكريم التي نصب لها العلماء(كالاستعارة و المجاز وغيرهما)، فضلاً عن أنواع البديع كما صنف جماعة من العلماء المتأخرين (كالرّازي و ابن أبي الأصبع و ابن القيم)، ويقول أنا القرآن كان علم البلاغة عند العرب، ثم صار بعدهم بلاغة هذا العلم، هذا بعد ما ذكر جماعة المتقدمين كالرماني و الواسطي، والعسكري و الجرجاني[1].

و يقول الرافعي أن القرآن لم يأتِ بالاستعارة لأجل الاستعارة ولا بالمجاز لأنه مجاز أو بالكناية لأنها كناية ، أو ما يطرد مع هذه الأسماء و المصطلحات إنما يريد به وضع معجز في نسق ألفاظه وارتباط معانيه من البيان و المنطق، فجرى على أصولهما في أرقى ما تبلغه الفطرة اللغوية على إطلاقها في هذه العربية[2].

يقول أحمد بدوي: «وإن الأسلوب قد يروعك و يبهرك، فإذا أخذت مفرداته كل مفردة على حدىً، فقد لا تجد فيه كبير الروعة، ولا قوة أسر، ولكن عندما انتظمت هذه المفردات في سلك فلاءمت ما قبلها و ارتبطت بما بعدها، واكتسبت جمالاً وجلالاً»[3]

يقول الدكتور محمود السيد شيخون : «لقد نشب صراع حاد و عنيف بين علماء البلاغة حول الصور و الألوان البلاغية في القرآن الكريم.هل هي معجزة أم غير معجزة؟ ففريقٌ منهم يرى أنها معجزة (الشيخ عبد القاهر الجرجاني، ويجعلها من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وفريقٌ آخر يرى أنها غير معجزة، وينفي أن تكون من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ومن هذا الفريق أبو بكر الباقلاني)[4] ».

فلا ريب أن للقرآن فصاحة وبلاغة تبهر العقول و تدهش الألباب فهو المعجزة الخالدة، وله أعلى الدرجات وأرفع المراتب.

---

1 – الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، ص205.

2 – المصدر نفسه، ص206، 207، 208.

3 – أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، مصر، 2003م، ص49.

4 – يُنظر: محمود السيد شيخون ، الإعجاز في نظم القرآن،ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1978م، ص91.

الفصل الخامس

الفصل الخامس:

الطريقة النفسية في الطريقة اللّسانية:

يقول الرافعي في هذا الفصل إن القرآن الكريم أتى من وراء النفس لا من وراء اللّسان، فجعل من نظمه طريقة نفسية في الطريقة اللسانية وأدار المعاني على سنن ووجوه تجعل الألفاظ كأنها مذهب هذه المعاني في النفس ،ويضيف الكاتب بأنه لا يمكن أن يتجه الباحث طريق الإعجاز المطلق ، إلا إذا تدبر القرآن على ألفاظه ومعانيه و عرف عروة اللفظ و مقعد المعنى ، فيدفع به إلى القطع أنه غير إنساني[1].

و يقول الرافعي بأنها الطريقة التي اتبعها العرب في الإحساس بإعجاز القرآن الكريم وسننه[2].

1 – الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، ص209.

2 – المصدر نفسه،ص 210.

الفصل السادس

الفصل السادس :

أحكام السياسة المنطقية على طريقة البلاغة:

يختم الرافعي هذا الباب بسرٍّ من أسرار البلاغة المعجزة على حد قوله ويقول بأنه شيءٌ لا نراه يتفق إلا في كلام النوابغ المعدود بين الذين يكون الواحد منهم تاريخ عصر من عصور أمته، أو يكون من تاريخها وهو إحكام السياسة المنطقية على طريقة البلاغة لا على طريقة المنطق، وهي في لغة كل أمة أبلغ البلاغة، غير أنها في رأي الكاتب في القرآن الكريم مما يُعجز الطوق، ولا تحتمله قوة النبوغ الإنساني [1].

و يقول الرافعي بأنه لا يظن البتة أن عربياً يطمع في مثل ما جاء به أو يطوعه له الوهم، فمهما بلغ من سموٍّ فطرته ورقة حسه فلن ينفع ذلك[2].

وقد أثبت التاريخ ذلك، فكثير من المشككين بالدين زعموا أن باستطاعتهم الإتيان بمثل القرآن الكريم، لكن فشلوا في ذلك فشلاً ذريعاً.

1 – الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، من ص 211 إلى ص 215.

2 – المصدر نفسه، ص216.

الخاتمة:

في ختام باب إعجاز القرآن، ينبه الرافعي أن كل ما ذكره في القول في إعجاز القرآن إنما أجمل تفصيلاً فيه و أتاه تحصيلاً، والقرآن الكريم في رأيه ليس كتاباً يتخير منه فيستجاد بعضه، و يصفح عن بعضه ولو أنه أطال البسط لاستنفذ العمر كله[1].

ويرجو المؤلف أن يكون قد كفى ، وإن لم يبلغ حد الزيادة، لم ينزل مقدار عمله هذا لحد النقصان[2].

1 – الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، ص218.

2 – المصدر نفسه، ص219.

الفصل السابع

الفصل السابع :

البلاغة النبوية:

يبدأ الرافعي فصله هذا بمقدمة، يمدح فيها بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم التي ارتبطت ألفاظها في نظره بقلب متصل بالخالق ، وصقلها لسان نزل عليه القرآن، وهي ليست بوحي و لكنها جاءت من سبيله محكمة الفصول، من موعظة و حكمة، ولا يفوت الكاتب الإحالة إلى حديثه عن البلاغة النبوية في الجزء الثالث من كتابه «وحي القلم»[1].

1 – الرافعي، إعجاز القرآن البلاغة النبوية، ص 220.

فصاحته:

بدأ الرافعي حديثه عن فصاحة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فوازن بينه و بين فصحاء العرب إذ كانوا يهذبون الكلام، ويبالغون في تجويده، أما رسول الله فقد كان لا يتكلف ولا يقصد إلى ترتيبه ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، بأسلوب رائع ونمط غريب وطريقة محكمة[1]، وقد استشهد الرافعي في حديثه بما قال الجاحظ عن فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم و يضيف بأن فصاحته ما هي إلا توفيق من الله فكان بين أهله يصرف اللغة تصريفاً و يديرها على أوضاعها، و يشقق منها في أساليبها و مفرداتها ما لا يكون لهم إلا القليل منه[2].

وفي فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم قال الإمام محمد أبو زهرة:«وأنه من الحق علينا أن ننقل إلى القارئ ما قاله القاضي عياض في وصف محمد عليه الصلاة و السلام و بلاغته عنه: وأما فصاحة اللسان و بلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل و الموضع الذي لا يجهل سلامة طبع و براعة منزع وإجازة مقطع، وجزالة قول، وصحة معانٍ، وقلة تكلف ، أوتي جوامع الكلِم، وخُصَّ ببدائع الحِكم وعلِم ألسنة العرب...»[3]

يذكر الرافعي بأن النبي صلى الله عليه وسلم وحده من خُصَّ بهاته الصفات وأن الله اصطفاه لرسالته، و ينوِّه بفضل البيئة في تكوينه صلى الله عليه وسلم، فقد نشأ في أفصح القبائل و أعذبها بياناً، و يضيف الرافعي بأن القرشيين لو وجدوا فيهم أفصح من محمد صلى الله عليه وسلم لعارضوه به، ولجعلوا من ذلك سبباً لنقص دعوته ، غير أنهم عرفوا منه فصاحة على أتم وجوهها، لا تغيب عنه لغة، ولا تضرب له عبارة، ولا ينقطع له نظم[4].

وهذا مما لا شك فيه، ففصاحة النبي صلى الله عليه وسلم اعتمدت على منطق خلابٍ وبيان جذاب، وحجة مقنعة، وحكمة بالغة، وكلام يأسر النفوس والألباب، فهو تأييد من الله سبحانه و تعالى لرسوله الحبيب.

---

1 – مصطفى صادق ارافعي، مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن البلاغة النبوية، ص221، ص222.

2 – المصدر نفسه، ص223.

3 – محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، دار الفكر العربين القاهرة، ج1، 1974م، ص168.

4 – المصدر السابق، ص224، ص225.

صفته صلى الله عليه وسلم:

أما عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول الرافعي بأنه قد كثرت الدراسات التي تناولت صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقد أفاضوا ونقلوا الكثير الطيب من الصفات الكريمة[1].

ووقف الرافعي في وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم على قول الحسن بن علي الذي كان مُلماً بصفته (شكله الخارجي)، ومنطقه (فكره)، وكلها أوصاف من أكرمها و أطيبها إطلاقاً، فيقول الرافعي بأنها صفات دلالة على الكمال في نوع الإنسان[2].

وهو وصف لم يختلف في كماله اثنين، فنجد العلاّمة أبي الحسن علي الحسني النَّدوي يقف على ما وقف عليه الرافعي، بل ويستفيظ في وصفه صلى الله عليه وسلم، ويذكر وصف علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وهو من أعرف الناس به وأكثرهم عشرةً له:«لم يكن فاحشاً متفحشاً ولا صخّاباً في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة....»[3]

ويقول الرافعي بأن الأسلوب النبوي لا يعتريه شيء من العصبية بل هو قصداً محكما متسايراً يشد بعضه بعضاً في صورة روحية، ويحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أدّبني ربِّي فأحسن تأديبي»، وقوله «أنا أفصح العرب»، ويقول بأن مجمل ما أشار إليه سابقاً هو أن الكلام النبوي جامعٌ مجتمع، يأتي مقداراً في مادته و معانيه و أسلوبه[4].

1 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص227، ص228.

2 – المصدر نفسه، ص 229.

3 – يُنظر أبي الحسن علي الحسني الندوي ، السيرة النبوية، تح سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، بيروت، 1999م، ص562.

4 – المصدر السابق، ص230.

أحكام منطقه:

يضيف الرافعي النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ضليع الفم فيستعمل جميع فمه إذا تكلم ولا يقتصر على تحريك الشفتين ، وهو دليل على امتلاء الكلام، وتحقيق الحروف وجهارة الأداء، ويعيب الكاتب في بعض المتكلمين مطّ الكلام و مضغ الحروف و التكلم من أقصى الفم و يصفه بأنه تكلف و بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ذمّه و حذّر منه.[1]

ويقول الكاتب أنه لا ينبغي وجود بعض من صفاته صلى الله عليه وسلم روعة فصاحة و عذوبة منطق و سلاسة نظم ....) عند فصحاء العرب، ولكنه يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عن النقص الذي يعتريهم بالإضافة إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان طويل السكوت ، ولم يتكلم في غير الحاجة[2].

وقد قال سعد القحطاني في وصف منطق الرسول صلى الله عليه وسلم «كان يتكلم بجوامه الكلم ، وإذا تكلم بكلامٍ بَيِّنٍ فصْلٍ، يحفظه من جلس إليه، ويعيد الكلمة ثلاثاً إذا لم تُفهم حتى تُفهم عنه، ولا يتكلم من غير حاجة»[3].

كما ذهب الإمام محمداً بوزهرة غلى ما ذهب إليه الرافعي في حسن منطق الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول : «ومنطق النبي صلى الله عليه وسلم كان خالياً من الفأفأة والتمتمة، وكل عيوب الكلام في صوتٍ هادئ عميقٍ يجمله الصدق و يدخله النفس، ويوجه الرشد إلى الحق، ونغمات صوته هادئة قوية في صوتٍ غير أجشٍّ ولا جفوة، ولكن التقى فيه عمق النغم الفطري بجمال الصوت، وجهارته في غير ضجيج ولا صخبٍ»[4]

1 – الرافعي ،إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، ص231– 232

2 – المصدر نفسه، ص233، ص243.

3 – سعيد بن علي بن وهف القحطاني، رحمة للعالمين محمد رسول الله، ط1، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2006م، ص61.

4 – محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، ص 167.

اجتماع كلامه وقلته:

يقول الرافعي بأنه بالإضافة إلى ما ذكره في ما سبق من صفات النبي صلى الله عليه وسلم (كمال الفصاحة و البلاغة)، يزيد صفةً انفرد بها عليه الصلاة والسلام وهي اجتماع كلامه وقلته، فيقول المؤلف إن الرسول صلى الله عليه وسلم عُرف بالجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها وعُرف بالخُطب القِصار وكان ينهى عن الإطالة فيها[1].

ويستعرض الرافعي في هذا الصدد قولاً للجاحظ في كتابه البيان والتبين يقول فيه إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل من صفة الأنبياء قلة الكلام[2].

يذهب الرافعي إلى قلة الكلام تحتمل وجهين: وجه في البعد من الصَّنعة والتكلف ووجه في العجز وقلة الخواطر والجهل، ثم يحسم المؤلف الأمر و ينفي وجه العجز عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويستشهد بذلك إلى أن الله سبحانه و تعالى قد استجاب لموسى حين دعاه: «ربِّ اشرح لي صدري و يسِّر لي أمري، واحلُل عقدةً من لساني»[3]، بينما النبي محمد صلى الله عليه وسلم أحق بمسألة إطلاق تلك العقدة، ويقول أيضاً لو أن أحداً من أعدائه شاهد طرفاً من العجز لاحْتَجَّ على الملأ [4].

1 – الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، ص235–236.

2 – المصدر نفسه، ص237.

3 – سورة طه، الآية 25. 26. 27.

4 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 238– 239.

نفي الشعر عنه صلى الله عليه وسلم:

يقول الرافعي بأنه يُتم ما قدمه الجاحظ سابقاً في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن الشعر، ويستدل بذلك من قوله تعالى: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ و قرآن مبين»[1]، ويذهب الرافعي إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عاجز عن الإتيان بشعر وإن هو تمثل ببيتٍ فلا ينشده تاماً وإنما كان ينشد الصدر أو العجز فحسب، ولا يستقيم له الوزن، وإنما يتفق له الرجز وهو ليس بشعرٍ، وإنما هو وزنٌ يتفق للصبيان و الضعفاء من العرب[2].

ويقول الرافعي إنه تدبير محكم ومنع عجيبٌ، في منع الله نبيه تصحيح وزن الشعر وجعل لسانه لا ينطق به على الرغم مما انفرد به من بلاغة وفصاحة، وفي رأي المؤلف لو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان شاعراً لذهب مذهب العرب (تكلف ونافس)، ولتصدع له الأساس الاجتماعي العظيم(القرآن الكريم) وانصرف عن الدعوة[3].

يقف القرطبي موقف الرافعي فيقول «وتكسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكثر من بيت من الشعر إنما هو مصداق قوله تعالى «وما علمناه الشعر وما ينبغي له»[4]، إذ في الآية دفع لشبهة الظن أن الرسول الكريم قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر»[5].

ويضيف الرافعي في هذا الصدد إنه كان له صلى الله ليه و سلم شعراء ينافحون عنه و يمدحونه ويردون عن الذين يكيدون له، ومن أهمهم حسان بن ثابت.[6]

---

1 – سورة يس، الآية 69.

2 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 240– 241.

3 – المصدر نفسه، ص242–243.

4 سورة يس، الآية 69.

5 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن مؤسسة مناهل العرفان، مجلد 13، ص54.

6 ـ الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص344، 345.

تأثيره في اللغة:

يشير الرافعي إل إفاضته في الحديث عن فصاحة قريش في جزئه الأول من هذا الكتاب ، وفي الحديث عن النبي محمد صلى الله عليه و سلم كان أفصحهم على الإطلاق، وما يشير إليه في مبحثه هو أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان بمثابة مرجع في البلاغة، والفصاحة كثيراً ما كان يسأل أصحابه عن مثل فيوضح لهم، حتى قال له علي رضي الله تعالى عنه وقد سمعه يخاطب وفد بني نهد : يا رسول الله، نحن بنو أبٍ واحد، ونراك تُكلِّم وفود العرب بما لا نفهم أكثره! فقال عليه الصلاة و السلام : «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[1]

ذكر الرافعي بعضاً مما كتب رسول الله صلى الله عليه و سلم من غريب اللغات يخاطب فيها قبائل قد اختلفت لغتهم عن لغة قريش ، غير أن الرسول أتقنها من دون تلقين ولا رواية ، ويقول المؤلف أنها قوة في فطرته اللغوية عليه الصلاة والسلام.[2]

وعن إتقانه اللغات و انفراده بالفصاحة يقول الإمام محمد أبو زهرة: « وأنه من الحق علينا أن ننقل إلى القارئ ما قاله القاضي عيّاض في وصف فصاحة محمد عليه الصلاة و السلام وبلاغته فقد قال رضي الله عنه(فكان يخاطب كل أمة بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في موطن عن شرح كلامه و تفسير قوله ومن تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه ، وليس مع قريش والأنصار وأهل الحجاز، ونجد كلامه وطيفة الهندي وقطن بن حارثة العليمي والأشعث بن قيس، ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من أقبال حمير وملوك اليمن»[3].

تأثير النبي صلى الله عليه و سلم في اللغة أمر معروف ،فرسول الله صلى الله عليه و سلم هو أبلغ البلغاء ، وأفصح الفصحاء فأثرت أمثاله وحكمة ونصائحه ، مواعظه و خطبه في الناس عامة فكيف لا تؤثر في اللغة.

---

1 – الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، من ص246 إلى ص 249.

2 – المصدر نفسه، ص 250–251.

3 – يُنظر، محمد أبو زهرة ، خاتم النبيين، ص 168.

نسق البلاغة النبوية:

يتحدث الرافعي في هذا المبحث عن نسق أسلوب الرسول صلى الله عليه و سلم ويشير إلى أنه سبق وأن تحدث في انفراد أسلوبه ، ويقول عن هذا النسق أن مسدد اللفظ،محكم الوضع، جزل التركيب جُمعت فيه لغة الواضح بالفطرة القوية، وبيان أفصح الناس نشأة وأقواهم مذهباً، وأبلغهم من الذكاء ، وحكمة النبوّة، وتبصير الوحي[1].

ويقف المؤلف عند مقارنة كلام أبلغ الناس ، بكلام النبي عليه الصلاة و السلام، فيصف الأول بالصقل البديع والصنعة المحكمة ، غير أنه يحوي غرابة بيانية ، في حين يصف الثاني مما لا تكلف فيه ولا داخلته الصنعة بل هو سبك خالص و معدن صحيح[2].

ولا يختلف العلامة أبو الفضل عيّاض اليحصي مع الرافعي في بلاغة النبي صلى الله عليه و سلم«وأما كلامه المعتاد، وفصاحته المعلومة، وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوازي فصاحة، ولا يباري بلاغة»[3].

ورصد الرافعي في مبحثه هذا محاور مهمة فيما يتعلق ببلاغة النبي صلى الله عليه و سلم مستشهداً في ذلك بمجموعة من الأحاديث ، ومن أهم ما ذكر أسلوبه صلى الله عليه و سلم، كنايته و تمثيلاته، وغريب اللفظ في حديثه[4].

يقول الدكتور محمد رجب البيومي:«لقد صور الرافعي بلاغة الرسول كما تراءت له ، فأجاد التصوير على النحو الذي كان يُنتظر منه، وعلى الطريقة التي رضيها لقلمه وارتضته»[5].

---

1 – الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، ص 253– 254.

2 – المصدر نفسه، ص255–256.

3 – أبو الفضل عياض بن موسى اليحصي ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تح، عبد علي كوشيك، ط1، وحدة البحوث و الدراسات، دبي، 1434هـ–2013م، ص120.

4 – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، من ص 258إلى ص263.

5 – محمد رجب بيومي، مصطفي صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، ط1،دار العلم، دمشق،1417هـ– 1997م، ص111.

الفصل الثامن

الفصل الثامن:

الخلوص والقصد و الاستيفاء:

يخص الرافعي أسلوب النبي صلى الله عليه و سلم بثلاث سمات ، أولها الخلوص ويعنى به لغة الرسول صلى الله عليه و سلم المنفردة التي تصيب الصميم بأسلوب جامع و سرد كامل، أما القصد يعني به الإيجاز والاقتصار وكأن الجملة تخلق في منطقه صلى الله عليه و سلم خلقاً سوياً، أما الاستيفاء فيعني به خروج الكلام مبسوط المعنى بأجزائه بدون اضطراب[1].

ويقول المؤلف بأن نسق البلاغة النبوية إنما هو في أكثر الحد الإنساني من ذلك الإعجاز القرآني، يعلو الكلام الإنساني و ينزل عن القرآن من جهته الأخرى[2].

وفي الأخير يقول الرافعي بأنه قدم بمقدار ما فهم، ويحمد الله على تلك النعمة[3].

1 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص264–265.

2 – المصدر نفسه، ص266.

3 – المصدر نفسه، ص 267.

دراسة و تقويـــم

دراسة وتقويم:

كان الرافعي رحمه الله أول من خصّ الإعجاز القرآني بكتاب مستقل في العصر الحديث، فمنذ أن كتب السيوطي مؤلفاته عن كتاب الله ، والمكان فارغ ينتظر من يقوم بالحديث عن هذا الإعجاز حديثاً شاملاً مستوعباً، يُضيف إلى ما كتبه السابقون ما نفح به العصر الراهن من قضايا فكرية تساعد على امتداد الحديث على نحو يرضي القارئ المتطلع.

وقد قام بأول جهد عصري في هذا المضمار ، نَعَمْ إن الرافعي في سموه البياني ، وكل كلمة خطها منذ أَلِف القلم تشير إلى هذا السمو الرائع[1].

قوبل الكتاب بما يستحق من التقدير ، ومع أن زعيم الأمة المحامي المدره و الخطيب البليغ سعد زغلول رحمه الله لم يكن من عاداته أن يتحدث عن الكتب الأدبية تحريرياً، فقد بهره كتاب الرافعي وعبر عن شعوره الصادق في خطاب رائع[2].

كما قال فيه محمد فريد وجدي «إن نابغتنا صادق الرافعي قد جاز مدى اللغة في الحكمة الإسلامية و الفلسفة الخلقية، أدّاه إليها ما هو بسبيلها من إعجاز القرآن ، ولو كان اقتصر على بيان إعجازه اللغوي لكفى مؤونة هذه المباحث ولكن همته العالية ، وبيانه الفيّاض و قلمه المطواع كلفته النزول إلى هذا الميدان فأجاد بل أبدع إبداعا لم يدع لمستزيدٍ فقد سلك بذلك مسلك الباحث المدقق و المفكر المحقق مستخدماً له بياناً فاتنا و أسلوباً حكيماً، ونظراً ثاقباً، فجاء مجموع ذلك صرحاً أدبياً فخماً»[3].

يقول الدكتور محمد رجب بيومي وإذا كان سعد زغلول قد قال عن كتابه (إعجاز القرآن)«إنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم»، فما أحْرى الزعيم الكبير أن يضيف إلى قوله : أو شعاع من بيان النبوّة أسفره به يراع مبين[4].

---

1 – ينظر، محمد رجب بيومي، مصطفى صادق الرافعي، فارس القلم، ص93–94.

2 – المرجع نفسه، ص94.

3 – مصطفى نعمان بدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة و التجديد، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1411هـ–1991م، ص422.

4 – محمد رجب بيومي، مصطفى صادق االرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، ص111–112.

على الرغم من إشادة النقاد والأدباء بأهمية هذا الباب من أبواب التاريخ الذي أطلق عليه الرافعي عنوان "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، وكلمة سعد زغلول في الكتاب التي ظل الرافعي يرددها في كل مناسبة فخراً و اعتزازاً، واعتدها نصراً عزيزاً له[1]. إلاّ أنّه لم ينل رضى خصومه كالعقاد و طه حسين وسلامة موسى ، فقد أجمع ثلاثتهم على قوة بيان الكاتب و جمال أسلوبه و لكن هذا لا يعني أن المؤلف جاء بجديد في مجاله أو أحدث فرقاً عمّا كتبه السلف، فهو لا يعدو في نظرهم أن يكون نقل عبارات[2].

يروي محمد سعيد العريان :"حدثني الرافعي فقال سعيت لدار المقتطف لأمر، فوافقت العقاد هناك، ولكن لقيني بوجه غير الذي كان يلقاني به، فاعتذرت من ذلك إلى نفسي بما ألهمتني نفسي وجلسنا نتحدث وسألته الرأي في إعجاز القرآن فكأنما ألقيت حجراً في ماء أمين... فمضى يتحدث في حماسة و غضب و انفعال، كأن ثأراً بينه و بين إعجاز القرآن، ولو كان طعنه و تجريحه في الكتاب نفسه لهان علي، ولكن حديثه عن الكتاب جرّه إلى حديث آخر عن القرآن نفسه وعن إعجازه أصدقك القول يا بني : لقد ثارت نفسي ساعئذٍ ثورة عنيفة...[3].

و يضيف العريان: "فكانت غضبة الرافعي الأولى لكرامة القرآن و العقاد ينكر إعجازه ولكتابه، و العقاد يجحد فضله ثم كانت الغضبة الثانية للتهمة التي رماه بها العقاد"[4].

أما أجمد حسين هيكل ، أطلق عن طريقة الرافعي في حديثه عن تميز الأساليب الفنية للمقالة طريقة"البيان المقطر" ،و ما هذه التسمية في رأيه إلا بلورة لميله و اهتمامه بجمال الصياغة و روعة الديباجة "إذا تميز بيانه في رأي الناقد نتيجة تركيب وجهد إذا يعمد صاحبه إلى اعتصار المعاني و توليد الأفكار، ومزج الخواطر من خلال مجازات مركبة و استعارات بعيدة وكنايات خفيفة"[5].

---

1 – ينظر، ضيف الله محمد، نثر مصطفى صادق الرافعي، دار مكتبة الشركة الجزائرية،ص71.

2 – محمد الأخضر مسعود، نثر الرافعي، المكتبة الشرقية، 1387هـ –1968م، ص74.

3 – محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، ص185.

4 – المرجع نفسه، ص190.

5 – ينظر، أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، دار العلوم، القاهرة، 1971، ص387.

والملاحظ أن اختلاف آراء النقاد حول كتاب إعجاز القرآن للرافعي بين مؤيد ومعارض، إنما يدل على المكانة التي احتلها ليعد من أبرز المؤلفات التي تناولت إعجاز القرآن، وجعلته من أبرز كتب الرافعي.

الخـــــاتمة

خـــــاتمـــة:

وفي الختام، وبعد رحلتي هذه مع الرافعي و كتابه إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،أخلص إلى ما يلي:

إن القرآن الكريم معجزٌ و إعجازه سر من الأسرار الإلهية ، والنبي صلى الله عليه و سلم بليغ و بلاغته من دلائل نبوته على تظافر جهود العلماء و تغير الزمان و مناهج الدراسة.

و الرّافعي أديب و عالم من الأدوات و الأساليب ما مكنه من تأسيس منهجه الخاص، فدرس الإعجاز القرآني من غير الجهة التي مضى عليها الأقدمون و أوضح أنه يرجع إلى الأسلوب و النظم و التأليف، غير أنه لم يختلف كثيراً عنهم، فعند تحدثه عن الإعجاز جمع في آرائه بين ما قاله الأولون و بين ما اتفق له و لم يسبق لغيره.

فقال إن موسيقى ألفاظه نمط فريد ليس معروفاً لهم في كلام العرب و أن القرآن انفرد بصوت الحس الذي خلت من صريحة لغتهم.

يتكون من دقة التصوير المعنوي و الإبداع في تلوين الخطاب، بجاذبة النفس، كما تظهر الجدة في بحث الرافعي في مصطلحاته أشار إليها القدماء ولم يستعملوها استعمالا صريحاً كالإيقاع الموسيقي وروح التركيب.

كما درس البلاغة النبوية في فصل مكتمل ففصّل في كل مبحث منه مهتدياً بدراسات الجاحظ، كما تناول جانبا تطبيقياً بالدراسة و التحليل، وخلاصته دراسة هاته هي إن النبي صلى الله عليه و سلم صاحب لسان مبين ومنطق مستقيم، و حكمة بالغة، وصفة كاملة و كلمة صادقة ومعجزة خالدة، قد أوتي جوامع الكلم، وهو أفصح العرب، قليل الكلام، مصيبٌ للمعنى، متمكنٌ من لغات غيره من القبائل بنصاعة لفظ و جزالة قول، وصحة معانٍ وقلة تكلف.

إن عمل الرافعي هذا يجعلنا نقف موقف إجلال وتقديرٍ له، فالأمة الإسلامية والإنسانية في أمس الحاجة إلى أدب و أدباء يحملون لواء الذود عن أصالة و مقومات أمتنا.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

. الألوسي، روح المعاني، تح عبد الباري عطية، طبعة1، الجزء5.

. ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ظبطه أبو تميم بن ابراهيم، مكتبة الرشد، الرياض ، الجزء10

. جلال الدين السيوطي،الإتقان في علوم القرآن،مجمع الملك فهد،1426هـ.

. ابن حجر العسقلاني،فتح الباري،تح مجد الدين الخطيب،دار الكتب السلفية،الجزء9.

. الخطابي،بيان إعجاز القرآن،تحقيق محمد خلف الله، محمد زغلول سلام،طبعة3،دار المعارف،مصر،1976م.

. عمر بن بحر الجاحظ،الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي، 1384هـ.

. الرماني، الخطابي، الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، القاهرة، الطبعة3، 1976م.

. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلام، دار المعارف،مصر، القاهرة، طبعة7، 1119هـ.

. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، مجلد13.

. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الطبعة 1، دار الأصالة للنشر و التوزيع،الجزائر ،2010م.

. ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، تح أبي إسحاق الحوبي، الطبعة1،دار إبن جوزية،1431هـ.

ابن كثير، الطبري، تارخ الطبري،الطبعة2، دار التراث، بيروت،الجزء2، 1387م.

أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، مصر، 2003م..

. أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصريى العامة للكتاب، الجزء2، 1997م.

. أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العرب، بيروت، لبنان، 1969م.

. أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث بمصر، من أوئل القرن19 إلى قيام الحرب الكبرى2، دار العلوم، القاهرة، 1971م.

. حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث الربع الأول من القرن 20.

ابن الحسن علي الحسني النّدوي، السيرة النبوية، تح سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير،بيروت، 1999م.

. خير الدين الزركلي، الإعلام، الطبعة5، دار العلم، الجزء1، 2002م.

. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، رحمة للعالمين محمد رسول الله، الطبعة1، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2006.

. سعيد عودة سليمان، البلاغة العربية، دار النهضة و الثقافة.

. ضيف اله محمد، نثر مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الشركة الجزائرية.

. عبد العزيز مقالح، عماقة عند مطلع القرن، الطبعة 1، منشورات دار الأدب، بيروت، 1981.

. عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1981م.

. عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن في دراسات السابقين، دار الفكر، 1997م.

. عبد اله مرزح ضيف الله، مصطفى صادق الرافعي، الطبعة1، منشأة المعارف، الإسكندرية.

. عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، الطبعة3.

. علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي من أول القرن الخامس إلى نهاية القرن السابع، الطبعة1، دار المشرق،1992م.

. فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، جامعة القدس المفتوحة، 1418هـ،1991م.

. أبوا الفضل عيّاض بن موسى اليحصبي، الشّفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم،الطبعة1، وحدة البحوث و الدراسات، دبي،1434هـ، 2013م.

. محمد أبوا زهرة، خاتم النبيين، دار الفكر العربي، القاهرة،الجزء 1، 1974م.

. محمد الأخضر بن مسعود، نثر الرافعي، المكتبة الشرقية، الجزائر، 1387هـ، 1968م.

. محمد سعيد العريان، حياة الرافعي،الطبعة3،، المكتبة التجارية الكبرى، 1375هـ، 1955م.

. محمد رجب بيومي، مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن،الطبعة1، دار العلم، دمشق،1417هـ، 1997م.

. محمود السيد شيخون، الإعجاز في نظم القرآن، الطبعة 1، مكتبة الكليات لأزهرية، القاهرة، 1978م.

. مصطفى الجوز، مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية المطلقة على السريالية، دار الأندلس، 1140هـ، 1985م.

. مصطفى الشكعة، مصطفى صادق الرافعي كاتبا و مفكرا إسلاميا، الطبعة3، الدار المصرية اللبنانية 1999م.

الفهـــــرس

الفـــهرس

المقدمة.....أ- ب
المدخل.....02
الفصل الأول: القرآن 09
المبحث الأول:تاريخ القرآن جمعه وتدوينه 09
المبحث الثالث:القراءة و طرق الأداء..... 11
المبحث الرابع: القراء.....12
المبحث الخامس: وجوه القراءة.....13
المبحث السادس :قراءة التلحين.....14
المبحث السابع: لغة القرآن.....16
المبحث الثامن : الأحرف السبعة 17
المبحث التاسع : مفردات القرآن 18
المبحث العاشر : تأثير القرآن في اللغة 19
المبحث الحادي عشر: الجنسية العربية في القرآن 21
المبحث الثاني عشر: آداب القرآن 22
المبحث الثالث عشر :القرآن و العلوم 23
المبحث الرابع عشر : سرائر القرآن 24
المبحث الخامس عشر : تفسير آية 25
الفصل الثاني : إعجاز القرآن.....27
المبحث الأول :الأقوال في الإعجاز 28
المبحث الثاني : حقيقة الإعجاز.....31
المبحث الثالث :أسلوب القرآن.....33
المبحث الرابع :نظم القرآن.....34

المبحث الخامس : الحرف و الأصوات.....35
المبحث السادس : الكلمات و حروفها 36
المبحث السابع: الجمل وكلماتها 37
الفصل الثالث : غرابة أوضاعه التركيبية 39
الفصل الرابع : البلاغة في القرآن 41
الفصل الخامس :الطريقة النفسية في الطريقة اللسانية 43
الفصل السادس :أحكام السياسة المنطقية على طريقة البلاغة 45
الفصل السابع : البلاغة النبوية 48
المبحث الأول : فصاحته صلى الله عليه وسلم 49
المبحث الثاني : صفته صلى الله عليه وسلم.....50
المبحث الثالث : أحكام منطقه صلى الله عليه وسلم.....51
المبحث الرابع : اجتماع كلامه وقلته صلى الله عليه وسلم 52
المبحث الخامس : نفي الشعر عنه صلى الله عليه وسلم 53
المبحث السادس : تأثيره في اللغة صلى الله عليه وسلم 54
المبحث السابع : نسق البلاغة النبوية 55
الفصل الثامن : الخلوص والقصد و الإستيفاء 57
دراسة و تقويم 59

خاتمة 63
قائمة المصادر و المراجع 65